تفسير إبن كثير

وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

وقوله : (ولا تصعر خدك للناس) يقول : لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك ، احتقارا منك لهم ، واستكبارا عليهم ولكن ألن جانبك ، وابسط وجهك إليهم ، كما جاء في الحديث : " ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، والمخيلة لا يحبها االله " .قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ولا تصعر خدك للناس) يقول : لا تتكبر فتحقر عباد االله ، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك . وكذا روى العوفي وعكرمة عنه .وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : (ولا تصعر خدك للناس) : لا تكلم وأنت معرض . وكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، ويزيد بن الأصم ، وأبي الجوزاء ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن يزيد ، وغيرهم .وقال إبراهيم النخعي : يعني بذلك التشديق في الكلام .والصواب القول الأول .قال ابن جرير : وأصل الصعر : داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها ، حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها ،

فشبه به الرجل المتكبر ، ومنه قول عمرو بن حنى التغلبي :وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوماوقال أبو طالب في شعره :وكنا قديما لا نقر ظلامة إذا ما ثنوا صعر الرؤوس نقيمهاوقوله : (ولا تمش في الأرض مرحا) أي : جذلا متكبرا جبارا عنيدا ، لا تفعل ذلك يبغضك االله; ولهذا قال : (إن االله لا يحب كل مختال فخور) أي : مختال معجب في نفسه ، فخور أي على غيره ، وقال تعالى : (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) [الإسراء : 37] ، وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه .وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد االله الحضرمي ، حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عيسى ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال : ذكر الكبر عند رسول االله صلى االله عليه وسلم فشدد فيه ، فقال : " إن االله لا يحب كل مختال فخور " . فقال رجل من القوم : واالله يا رسول االله إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ، ويعجبني شراك نعلي ، وعلاقة سوطي ، فقال : " ليس ذلك الكبر ، إنما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس " .ورواه من طريق أخرى بمثله ، وفيه قصة طويلة ، ومقتل ثابت ووصيته بعد موته .